

ما وراء اغتيال الحسن

أسعد أبو خليك*

الصحافة اللبنانيّة كانت في عرس من النفاق، وأعراس النفاق موسميّة في مسخ الوطن. مديعات ومذيعون اتشحو بالسواد. وولولوا على الهواء. بعضهم أجهد بالبقاء على الهواء وكاد ان يسقط (أو تسقط) مغشياً عليه. المرآتي توالّت ولم تتوقف وبعضها مُستنسخ من مرآتي الحريري. أظرفها كان من قلم شارل أيوب. أيوب كان يصف الحسن بعميل الـ«موساد» على مدى أسابيع طويلة، في مقالات طويلة لا تشبه إلا أسلوب شارل أيوب (لماذا تقرأ الرجل وتشعر أنه لم يكتبها بل صرخها صراحاً بوجه السكرتيرة المسكينة؟). لكن بعد موت الحسن، سارع أيوب إلى كتابة مرثيّة وصفه فيها بـ«الصديق الحميم»، وأضاف أيوب أنه كان يشن حملة ضده فقط لأنّه أراد «تجديد» الصداقة. يعني أن يريد تجديد صداقة، فما عليه إلا وصف الصديق بعميل الـ«موساد».

نستطيع ان نستخلص من التغطية أنّ الحسن على علاقة (غير) مهنيّة بعدد وافر من الإعلاميين _ وليس فقط في الإعلام اللبناني والعربي (كشفت ذلك الكاتب في «واشنطن بوست» ديفيد إغناطيوس هذا الأسبوع). الرجل الذي كان يعمل على مدار الساعة _ كما صخّث الدعابة _ لكنّه كان يجد متسعاً من الوقت لأحداث مستفيضة شرط ألا يُكتب أنه كان هو مصدرها. من المعلوم أنه هو سرّب كل ما قيل عن قضية سماعة (وسماحة منذب لو قام بما قام به تلقائياً، أو حتى لو كان قد عُزّر به مثل الصبغة من «شعبة المعلومات» _ على ما يُقال دفاعاً عنه _ والنظام السوري مُدان في القضية على الأقل بصمته)، وهو الذي كان يسرّب لوسائل الإعلام الغربيّة على امتداد الأسابيع التي سبقت مقتله عن تزيّن حزب الله في الشأن السوري إنَّ «المسؤول الحكومي اللبناني» الذي تحدّث مع معظم وسائل الإعلام الأجنبية عن تزيّن حزب الله في سوريا هو عينه وسام الحسن. والطريف أنّ الحسن كان يُسرّب لوسائل الإعلام الغربيّة عن تزيّن حزب الله في الصراع السوري، فيما كان هو يزهو بتزيّنه هو وجهازه في الصراع السوري نفسه. هناك ما يجب ان يُكتب عن علاقة المُتَنقِّ والصحافي برجل الأمن. لماذا في المبدأ يذرف أي متنفّد دمعاً _ ولو دمعاً _ على أي رجل استخبارات أو أمن في بلاده مع العلم أنّ أجهزة الاستخبارات _ كلها _ متوزّطة في أعمال قتل وتعذيب وتفجير وفتن طائفية _ وينطبق هذا على حالة «شعبة المعلومات» بالتأكيد كما ينطبق على غيرها. الصحافي في جريدة خالد بن سلطان (الليبرالي العربي بحب الليبرالية لكنّه يفضل عليها خالد بن

علاء الامني*

يقع عبد الله أوجلان، الزعيم اليساري لحركة الاحتجاج الكردي في تركيا ومؤسس التمرد المسلح المواكب لها، في سجن جزيرة إمرلي العسكري ببحر مرمره منذ شباط 1998، بعد اعتقاله خلال عملية مطاردة استخبارية مثيرة، انتهت في كينيا، وساهم فيها، بشهادة صحيفة «وطن» (watan) التركية، الموساد الإسرائيلي. وقد حُكِم على أوجلان بالإعدام، لكنّ الحكم لم ينفذ في حينه بسبب ضغوط دولية خارجية

الخبير

تأسست عام 1953
تصدرت شركة «الخبير بيروت»
رئيس التحرير المؤسس
جوزف سماحة
(2006-2007)
مستشار مجلس التحرير
أنسي الحاج
رئيس التحرير. المدير المسؤول
إبراهيم المين

سلطان) حازم الأمين، كتب مديحة عن وسام الحسن قبل مقتله بأسابيع. وعدّ مديحته من باب السبق الصحافي. وعندما أطلّ الأمين بعد موته للحديث عن مزاياه، قال إنه التقى به نحو ثلاث أو أربع مرّات «فقط». لم يذكر جيّداً عدد المرّات. لا هم. لكن كتابة المادّح في حق أجهزة الأمن تقليد سائد في إعلام النفط والغاز: فقد كتب سمير عطاالله (قد يكون أسوأ نموذج معاصر للصحافي اللبناني المرابط في مضارب الأمراء) مديحة عن الأمير مقرن (الذي أجمعت عائلته نفسها على أنه كان فاشلاً في وظيفته). عباس بيضون كاد أن ينتحب في... «السفير الثقافي». كتب في وسام الحسن: «لقد علقنا فجأة في العجز، شعرنا بأنّ لا سقف لنا ولا مُرتكز». تأسف طبعاً لأنّ وفاة الحسن أدّت إلى تعثر بيضون «في العجز». أما ماريا الملعوف (المُنقّلة بين المعسكرات السياسيّة بحفّة لا يحسدها عليها إلا وليد جنبلاط أو شارل أيوب) فكتبت في جريدتها عن لقائه للمؤرّة الأولى: «أذكر جيّداً كيف لم أقبّ حينها على النظر إليك لما استشعرتّه من قوّة شخصيتك وتلك الهالة الساطعة التي تراقفك». وثناء وسام الحسن ذكّر برثاء أصف شوكت في إعلام ما يُسمّى «الممانعة». رجال الاستخبارات عزبزون على قلوب العديد من المثقّفين والصحافيّين. تديّم بعضهم لوفاة الحسن (أو شوكت).

وكان واضحاً من ردّة الفعل الصحافيّة على وفاة الحسن أنه كان يوزّع حناؤه وحبّه على عدد وافر من الإعلاميين. وكانت تغطية الإعلام لـ«شعبة المعلومات» تغيطة عاطفيّة غير عاديّة على مرّ السنوات. كيف ولماذا يصبح رجل الأمن والاستخبارات حبيباً عند الصحافيّين؟ طبعاً، إنّ هذا يعود لطبيعة العلاقة التي بناها فقيّد «الشعبة» مع وسائل الإعلام والتي قامت (كما اعترف شارل أيوب بالنسبة لصحيفته) على المال والنفوذ، وبالنيابة عن سلطة عائلة تآتمر بإمرة عائلة في السعوديّة. تفضح طريقة تعاطي الإعلام اللبناني مع موت الحسن الكثير عن فساد العلاقة بين أجهزة الأمن والإعلام في بلد يزعم أنه يتميّز عن جيرانه بميزة حرّيّة الإعلام. لماذا يرثي الإعلام رجل الأمن؟ هل هي مهنته؟ هل مدح الإعلام اللبناني الحسن أكثر مما مدح إعلام النظام السوري شوكت؟

لكن موت الحسن ينطوي على خطورة ما يُعدّ. استطاع المال الحريري والتخطيط الأميركي _ الصهيوني بناء أسطورة رفيق الحريري بعد 2005. ونجاح الخطّة آنذاك يعود إلى تمنع خصوم الحريري عن المجابهة ولو الكلاميّة. ارتدعوا تحت ستار «حرمة الموت» وخاف كثيرون من وصفهم بتهمة القتل عن عمد. البعض زايد في الثناء على الحريري والبعض

الأخر لزم منزله وصمت أو قرأ كتاب «غيبين» عن سقوط الإمبراطوريّة الرومانيّة (كما فعل إيلي الفرزلي) _ وهو عين الكتاب. تحاول المؤامرة المستمّزة ان تمرّ مشروعاً خطيراً آخر (عنوانه مرّة أخرى القضاء على مقاومة العدو الإسرائيلي) تحت عنوان الحداد على الحسن. يصعب كسر الأوثان بعد ان تصبح عملاقة: هذا ما حدث لوثن رفيق الحريري. يجب كسر الأوثان قبل ان تكبر. هناك محاولة مُكرّرة لبناء أسطورة عن وسام الحسن.

يُقال الكثير عن «مهنيّة» وسام الحسن. حسناً، ماذا لو كانت المهنيّة تلك تفيد مشروعاً ضاراً؟ انا أفضل ان يكون رجل الأمن على شاكلة حسن السبع _ أتذكرونه وتذكرون مؤتمره الصحافي عن الانشقاقات في جسم التنظيمات الفلسطينيّة؟ كان الرجل مادة كوميدية دسمة. أفضل ان يكون رجل الأمن والاستخبارات عديم القدرة والكفاءة والمهنيّة لأنّ أجهزة الاستخبارات ليست خيرة. ثم، هل وسام

الجهاز الحكومي الأميركي في حالة حداد ولهذا من المستبعد ان تكون إسرائيل قد قامت بقتله الحسن

الحسن قام بما كان يقوم به بناءً على قدرة ذهنيّة ام على مصادر ماليّة وعسكريّة غير متوافرة لسواه؟ وماذا لو كانت المهنيّة مُوظّفة في نطاق مشروع يضرّ بمصلحة الناس؟ وهل مهنيّة الحسن هي التي وضعته في منصبه أم هو الولاء المطلق والأعمى لعائلة الحريري؟ إن فريق الحريري يعمل وفق مبدأ ياسر عرفات في التعيينات: الولاء المطلق يتفوق على الكفاءة في الوظيفة. ولو كانت عسكريّة أو أمنيّة.

لكن ماذا كان دور وسام الحسن بالضبط؟ الكلام المدوّر لا يتوقف عن الإشادة بدور الحماية. والصحيح أن وسام الحسن لم يكن ليوم واحد يقوم بدور من عنده. لا يبرز رجل الاستخبارات في بلادنا وحده مهما كبرت وصغرت مواهبه في الأمن والاستخبارات. هؤلاء يشغلون مراكز بالواسطة _ إما بإمرة الطاغية أو بإمرة جهاز استخباراتي إقليمي أو عالمي. وسام الحسن، مثل خلفه، كان مرافقاً شخصياً لرفيق الحريري. أي أنه لم يكن يرتقي السلم الوظيفي بناءً على الأهلية بقدر ما كانت أحكام الترقية مبنية على أحكام خدمة العائلة. مهما علا

إطلاق سراح أوجلان... إطلاق سراح أمتين!

الدولة التركية الحديثة التغلب على التناقضات والمشكلات الإنشائية الداخلية الموروثة فيها، ولعل من أهمها القضيتان الكردية والأرمنية. وإذا كانت هذه الأخيرة تتعلّق بموقف من التاريخ المأسوي خلال فترة من الدولة التركية العسيرة والبطولية من رحم السلطنة العثمانية المتحللة، وفي مواجهة الدول الغربية التي احتلت معظم أراضي تركيا، فإنّ الأولى تتعلّق بمشكلة حقيقية لها مساس مباشر بجزء حيوي ومهم من الدولتين: القديمة التي ولّت، والحديثة التي ولدت. إنّ القضية الكردية في تركيا، من حيث بواعثها وواقعها وأفاقها، لا تختلف عنها في العراق وإيران وسوريا، مع وجود خصوصيات محلية لا يجوز إنكارها، لكنها، في جميع هذه البلدان، تبقى من حيث طابعها التاريخي والإنساني، قضية واحدة، وهي قضية تحرر وطني وقومي من الطراز الأول. لقد شكّل اعتقال أوجلان منعطفاً مأسوياً للقضية الكردية في تركيا وكان ثمنه باهظاً فعلاً، لكنه كان ثمناً مؤقتاً، كما اتضح لاحقاً. غير أنّ الدولة التركية، وتحديداً في عهد حكومة بولنت أجاويد التي اعتقلته، وحكومة العدالة والتنمية التي تلتها، لم تحسن التعامل مع الحدث بفطنة ووعي عميق بالمستقبل، بل يمكن القول إنّها غرقت في سكرة النصر الاستخباري الذي أنجزته باعتقال أوجلان. ففيما راح الزعيم الكردي المعتقل يطلق دعوات إلى التهدئة

شأن وسام الحسن، كان يعمل بإرادة سعد الحريري. صحيح أن قوّة الحسن عظمت عندما أثبت للاستخبارات السعودية والأميريّة أنه كفؤ وأنه قادر على تحمّل المهّمات، لكن ذلك لم يكن بناءً على قرار سيادي. وأن يكون جهاز استخبارات «وطني» بإمرة إرادة خارجيّة _ صديقة أو عدوّ _ هو نزوة التفريط بالسيادة، بالرغم من كثرة الأعلام وأشجار الأرز في ماتم وسام الحسن.

لكن من الضروري تحديد الدور الحقيقي لفرع المعلومات ولوسام الحسن. مؤكّد أنّ جزءاً من عمل الحسن كان في نطاق العلاقات العامّة للتعويض عن غياب سعد الحريري ونوابه. كان الحسن (المشغول لـ«فوق رأسه») يجد متسعاً من الوقت لمهاقفة أو محادثة صحافيّين وصحافيّات عرب واجانب يومياً. كان من أنشط المسرّبين في الإعلام العربي والعالمي. وكل ما كنا نقرأه عن بطولات الشعبة وعن انتصاراتها كان من فبركة الحسن نفسه وتصديره. تبدأ مثلاً بانتصارات الشعبة في مسألة القبض على عملاء للعدوّ الإسرائيلي. تسأل أولاً: لماذا قام الجهاز بالقبض على عدد من العملاء ولماذا توقّف فجأة عن القبض عليهم؟ إن نشاط أجهزة التنصّت والتجسس التي يملكها الفرع والتي لا يملكها الجيش اللبناني كان يمكن ان تستمرّ في العثور على جواسيس إلا إذا كان العدو قد رفع أيديه مستسلماً أمام نجاحات الحسن. وماذا عن قضية ان جواسيس الشعبة كانوا هم يتجسسون على حزب الله وقادته عندما وقعوا بالصدفة على مجموعة أخرى من الجواسيس التي كانت هي أيضاً تتجسس على قادة الحزب لحساب العدو؟ والأهم، أن المقالات التي نُشرت في الغرب عن دور وسام الحسن لا تترك مجالاً للشك في ان دوره كان دوراً فرعيّاً للدور الاستخباراتي للحكومة الأميركيّة. روى واثم وهاب أنّ الحسن أخبره أن ديفيد بتريوس استدعاه (الشهر الماضي) فقط للحديث عن إسلاميّي الشمال. من المشكوك فيه أنّ ديفيد بتريوس مهتم بأمر السلفيّين في الشمال (والذين يتلقون الدعم الأميركي في سوريا وفي بعض لبنان، بصورة مباشرة أو غير مباشرة) أكثر من اهتمامهم بحزب الله الذي يشغل إسرائيل وراعيها الأساسي.

من يستطيع ان يثبت ان وسام الحسن أو جهازه _ حتى لا تشخصن الموضوع مع ان الشخصية ضرورية تحليلياً في جمهورية الحريري وفي مملكة آل سعود _ كان «يحمي لبنان»؟ وبأي طريقة؟ ومن من؟ ماذا عن رعاية تنظيمات مسلحة طائفية وأوغاد أحياء في طول البلد وعرضه؟ وماذا عن تعاون استخباراتي خارج نطاق الدولة التي يلهج بحمدها الفريق الذي

والسلام، ممثلة بدعوات متكررة وطويلة لوقف إطلاق النار من جانب واحد، وتعهّدات بالحفاظ على وحدة الدولة التركية، وبالتخلي عن أساليب العنف واستعمال القوة في الدفاع عن حقوق الشعب الكردي، ظلت السلطات الرسمية التركية على مواقفها القديمة المتشنجة والمناهضة لأكراد وحقوقهم، وتمسكة بنظرتها الى أوجلان ومؤيديه بوصفهم قتلة ومجرمين ينبغي تصفيتهم جسدياً باستخدام الحل الأمني العنيف.

على الأرض، تواصلّ الصراع المسلح والقاسي، وفشل أيّ من الطرفين في اقتلاع خصمه وإلغائه من الميدان. ورغم التشدد التركي واعتماد الحل الأمني، فقد أقدمت السلطات التركية، وخصوصاً في عهد حكم حزب العدالة والتنمية، على خطوات عدّة جريئة، رغم محدوديتها السياسية، يمكن احتسابها ضمن مساعي التهدئة والإقتراب من البحث عن حل آخر غير عسكري. من تلك الخطوات: قرارها بالسماح باستخدام اللغة الكردية في تركيا، وعدم معاقبة الأكراد الذين يسمون مواليدهم بأسماء كردية، ثم قرارها بتدريس اللغة الكردية في التعليم العالي في 2009، وأخيراً الاعتراف رسمياً بوجود هذه اللغة خلال السنة الجارية. غير أنّ هذه الخطوات إذا نظر إليها في ضوء الواقع التاريخي العالمي والتغيرات التي عصفت بالعالم كله، وخصوصاً في إقليم

وشعبية داخلية، ثم تحول تلقائياً إلى حكم بالسجن المؤبد بعد قرار تركيا إلغاء عقوبة الإعدام لتلبية لشروط الاتحاد الأوروبي، وهي كانت ولا تزال تسعى إلى الانضمام إليه دون جدوى. تلخص سيرة أوجلان جزءاً مهماً من سيرة حركة التحرر الوطني الكردية التي دخلت في نزاع مسلح مع الدولة التركية منذ ما يزيد على ثلاثة عقود، سقط خلالها من الجانبين عشرات آلاف القتلى ومثلهم أو أكثر من الجرحى والمعتقلين والمشرّدين. كما أنّها، في الوقت ذاته، تلخص جزءاً لا يقل أهمية من محاولات

■ نائب رئيس التحرير: بيار ابي صعب ■ مدير التحرير: إيلي شلموب، وقيف قانصوه ■ إمتداد: محمد زبيب ■ محليات: حسن عليف ■ مجتمع: مهدي زرافط ■ عالم: حسام كفتاني ■ ثقافة: وائل، اهل الاندري ■ وحدة البحوث: عمر شبابة

■ المدير الفني: اميل منعم ■ مدير الموقع الالكتروني: منصور عزيز ■ رئيس مجلس الادارة: ابراهيم الامين ■ الادارة المالية: فادي خليك ■ الموارد البشرية: رينا اسماعيل

■ المكاتب: بيروت - فردان - شام دونات - سنتر كونورد - الطائف، السادس ■ تلفاكس: 01759500 01759597 ■ ص.ب 5963/113 www.al-akhbar.com

■ الاعلانات Tree Ad 03 / 252224 - 01 / 611115 ■ التوزيع شركة اللوانك 03 / 828381 - 01 / 666314 - 15